الصوت محاضرة ١٥: الأصوات وعلم التجويد

الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :-

لم يعرف مصطلح التجويد بمعنى العلم الذي يُعنى بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق الا في حدود القرن الرابع الهجري ، كذلك لم يعرف كتاب أُلِّف في هذا العلم قبل ذلك القرن ، ومعنى هذا ان علم التجويد تأخّر في الظهور علما مستقلا بالنسبة الى كثير من علوم القرآن وعلوم العربية أكثر من قرنين من الزمان .

وأقدم نص وردت فيه كلمة (التجويد) مستعملة بمعنى يقرب من معناها الاصطلاحي هو قول ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) مؤلِّف كتاب (السبعة في القراءات) اذ قال أبو عمرو الدّاني : (حدثني فلان عن فلا قال : سمعت ابن مجاهد يقول : اللحن في القران لحنانِ : جليٌّ ، وخفيٌّ ، فالجلي لحن الإعراب ، والخفيُّ ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه) .

قال ابن الجرزي ، وهو يترجم لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله البغدادي (ت ٣٢٥هـ) : ((هو أوّل من صنّف في التجويد فيما أعلم ، وقصيدته الرائية مشهورة)).

وأوّل من استخدم مصطلح التجويد بعد ابن مجاهد هو ابو الحسن علي بن جعفر السعيدي (ت ٤١٠هـ) فقد قال في أوّل كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي): ((سألتني ... أن أُصنِّفَ لك نُبَذاً من تجويد اللفظ بالقرآن)) .

وشاع استخدام مصطلح (التجويد) بعد عصر السعيدي على نطاق واسع . وقد قام علماء التجويد باستخلاص المادة الصوتية من مؤلفات النحويين واللغويين وعلماء القراءة ، وصاغوا منها هذا العلم الجديد الذي اختاروا له اسم (علم التجويد) ، وواصلوا ابحاثهم الصوتية مستندين الى تلك المادة ،

وأضافوا اليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الاصوات اللغوية .

إن اصول علم التجويد كانت موجودة في الكلام العربي ، يحرص عليها القرّاء ، ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقرائهم ، وإن لم تكن مدوّنة ، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف .

لقد استمرت مسيرة التأليف في علم التجويد منذ ظهور مؤلفاته في القرن الرابع الهجري حتى وقتنا الحاضر، وهذا الامر يوضح لنا مدى ارتباط المسلمين بالقران الكريم ، وحرصهم على تجويد حروفه واتقان النطق بألفاظه ، وكان من نتيجة هذه المسيرة التأليفية عشرات الكتب على مر هذه القرون .

ومن هذه المؤلفات :

١- القرن الرابع الهجري :

- أبو مزاحم موسى بن عبيد الله الخاقاني البغدادي (ت ٣٢٥ هـ) :

القصيدة الخاقانية التي قالها في حسن الأداء :

أقول مقالاً لأولي الحجرِ ولا فخرَ إنّ الفخر يدعو الى الكِبْرِ

٢- القرن الخامس الهجري :

- أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي (ت ٤١٠ هـ) : ومن مؤلفاته :

التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ، اختلاف القرّاء في اللام والنون

- ابو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القرطبي (ت ٤٢٧ هـ) ومن مؤلفاته :

الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة .

- أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) : ومن مؤلفاته :

التحديد في الاتقان والتجويد ، كتاب الإدغام الكبير ، كتاب البيان والادغام ، رسالة في مخارج الحروف .

- عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦٢ هـ) :

الموضح في التجويد .

- ابن البناء البغدادي (ت ٤٧١ هـ) :

التجريد في التجويد .

٣- القرن السادس الهجري :

- ابو الحسن الرعيني الاشبيلي (ت ٥٣٩ هـ) :

نهاية الاتقان في تجويد القران .

- ابو علي سهل بن محمد الاصبهاني (ت ٥٤٣ هـ) :

التجريد في التجويد .

- ابن الطحان الاندلسي (ت ٥٦٠ هـ) :

الانباء في تجويد القران ، مقدمة في التجويد ، رسالة في مخارج الحروف ، مرشد القارئ الى تحقيق معالم المقارئ .

- ابو العلاء العطار (ت ٥٦٩ هـ) :

التمهيد في التجويد .

٤- القرن السابع الهجري :

- ابو المعالي الموصلي البغدادي (ت ٦٢١هـ) :

نبذة المريد في علم التجويد ، الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف .

- علم الدين السنماوي (ت ٦٤٣ هـ) :

منهاج التوفيق الى معرفة التجويد والتحقيق ، عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة لفظ التجويد ، قصيدة نونية مطلعها :

يا من يروم تلاوةَ القرآنِ ويرودُ شأوَ أئمةِ الإتقانِ

- ابن الناظر الاندلسي (ت ٦٧٩ هـ) :

الترشيد في علم التجويد .

- ابن ابي زهران الموصلي (ت ٦٨٢ هـ) :

التجريد في التجويد .

٥- القرن الثامن الهجري :

- محمد بن قيصر (المارديني النحوي) (ت ٧٢١ هـ) :

الدر النضيد في معرفة التجويد .

- ابو عبدالله الدمشقي (ت ٧٤٣ هـ) :

التذكرة والتبصرة لمن نسي تفخيم الالف وأنكره .

- ابن ام قاسم المرادي (ت٧٤٩ هـ)

شرح الواضحة في تجويد الفاتحة ، ارجوزة في مخارج الحروف وصفاتها .

- ابن الجندي (ت ٧٦٩ هـ) :

التسديد في علم التجويد .

- محمد بن محمود السمرقندي (ت ٧٨٠ هـ) :

التجريد في التجويد ، العقد الفريد في نظم التجويد ، روح المريد في شرح العقد الفريد .

٦- القرن التاسع الهجري :

- علي بن عثمان (ابن القاصح) (ت ٨٠١ هـ)

نزهة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين .

٧- القرن العاشر الهجري :

- مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين ، لناصر الدين الطبلاوي (ت ٩٦٦ هـ) .

٨- القرن الحادي عشر الهجري :

- ابن بلبان الحنبلي (ت ١٠٨٣ هـ) :

بغية المستفيد في علم التجويد

٩- القرن الثاني عشر الهجري :

- محمد القاسم البقري (ت ١١١١هـ) :

العمدة السنية في احكام النون الساكنة والتنوين .

- محمد بن أبي بكر المرعشي (ت ١١٥٠ هـ) :

جهد المقل ، بيان جهد المقل ، رسالة في التغني واللحن .

إنّ علماء التجويد درسوا الاصوات لمعالجة ماسموه باللحن الخفي ، فقد قسّموا اللحن الى قسمين هما : اللحن الجلي وهو الخطأ في الظاهر في الحركات خاصة ، واللحن الخفي وهو الخلل الذي يطرأ على الاصوات من جرّاء عدم توفيتها حقوقها من المخارج او الصفات او ما يطرأ لها من الاحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق .

إنّ منهج علماء التجويد في دراسة الاصوات يتوقف على أربعة أمور :

١- معرفة مخارج الحروف .

٢- معرفة صفاتها

٣- معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب من الاحكام .

٤- رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار .

والاصل في ذلك تلقيه من أولي الاتقان ، وأخذه عن العلماء بهذا الشأن ، ويضاف الى ذلك حسن الصوت وجودة الفك وذرابة اللسان .

ومن الامور الهامّة عند علماء التجويد التي تتعلق بالاتجاه التعليمي للأصوات العربية ، وهي أنّهم مع تأكيدهم ضرورة التلقي من فم الشيخ ينصّون على ضرورة استخدام الحس النقدي عند التلقي ، واجتناب التقليد المحض ، فيجب على الطالب ان يعرض ما يتلقاه عن شيخه على الاصول المقررة في كتب علم التجويد ؛ خشية ان يكون شيخه قد وهم في بعض ما يلقنه إيّاه .

واستطاع علماء التجويد ان يجردوا المباحث المبعثرة في كتب النحو والصرف والقراءات ويجمعوها في كتب مستقلة ، وفضلا عن ذلك فإن علماء التجويد قد ميّزوا أبحاثهم الصوتية بتسمية جديدة ، فلم يدعوها تحمل اسم علم النحو، أو علم الصرف ، أو علم القراءات ، لكنهم استخدموا لتلك المباحث تسمية هي (علم التجويد) .

إنّ علماء التجويد لم يخسروا شيئا حين حصروا اهتمامهم بألفاظ القرآن الكريم ، بل افادهم ذلك من عدة نواحٍ :

اولا : هدف علماء التجويد تعليمي ، ويناسب ذلك الهدف حصر الدراسة في ميدان محدد وهو ما يتحقق في نص القران الكريم .

ثانيا : ان ارتباط علم التجويد بالقران الكريم قد جعل منه علما شعبيا ، بالتعبير المعاصر في المجتمع الاسلامي على اختلاف البلدان والأزمان ، لذلك حرص المسلمون على دراسته وتطبيق أحكامه .

ومن مباحث علم الصوت عند علماء التجويد وصف أعضاء آلة النطق ، وانتاج الاصوات اللغوية ، وتصنيف الاصوات اللغوية الى جامدة وذائبة ، وتصنيف الاصوات الجامدة بحسب مخارجها ، وتصنيف الاصوات الجامدة بحسب الصفات ، والاصوات الذائبة (مخارجها وصفاتها).

أعضاء آلة النطق (الرئة ، قصبة الحلق أو قصبة الرئة ، الحنجرة ، الحلق ، للهاة ، الحنك الاعلى (الغار الاعلى) أو سقف الفم ، اللسان ، الخياشم ويسمى (الفراغ الانفي) (والتجويف الانفي) ، الشفتان ، الاسنان، والجوف (هو الخلاء داخل الفم والحلق وهو مخرج لثلاثة أحرف الالف والواو والياء).

وكان علماء التجويد يستعينون بكتب الطب في التشريح لوصف تلك الاعضاء ، فضلا عن استعانتهم بالرسم التوضيحي لتوضيح أعضاء آلة النطق .

وقد ذكر علماء التجويد ان الهواء هو المادة الرئيسية في انتاج الاصوات اللغوية ، فقالوا : ((والصوت هو الحاصل من دفع الرئة الهواء المحتبس بالقوة الدافعة فيتموّج ، فيصدم الهواء الساكن ، فيحدث الصوت من قرع الهواء بالهواء المندفع من الرئة)).

ودرس علماء التجويد الادغام ، والاقلاب ، والاظهار ، والاخفاء وغيرها من الظواهر .

ومن الكتب الحديثة في علم الصوت : الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس ، ودراسة الصوت اللغوي ، للدكتور أحمد مختار عمر ، وفي البحث الصوتي عند العرب للدكتور خليل العطية ، أصوات العربية بين التحول والثبات للدكتور حسان النعيمي ، دروس في علم أصوات العربية ، لجان كانتيو ، وغيرها .